Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونحن لا ننتظر من الأقدمين أن يفسروا هذا البيت ، على ضوء التحليل النفسي ، كما نفعل نحن الآن ، ولكن كنا نتوقع أن يلفتهم هذا التشبيه الغريب ، الذي يختلط فيه الألم بالحزن بالكبرياء ، والمرض بالجنس والشهوة . لا أن يقفوا عند مجرد التشابه الشكلي .

ونحن – بعد مرور هذه الأعوام الطوال – لا يمكن أن نعرف على وجه الدقة طبيعة الظروف التي كان يعيشها المتنبي في مصر . وهل كان يعاني نوعاً من الحرمان الجنسي ، نتيجة فراغه الممتد ، وتبطله ؟ . أو أن فداحة الأحزان التي كان يعيش في ظلالها ، كانت توقظ مشاعره الحسية ، وتفجر شهواته المكبوتة ؟ .. أو أن أبا الطيب حاول أن ينفر الناس من تلك الحياة التي كان يحياها في مصر ، متبطلاً ، حزيناً ، يائساً من تحقيق حلمه عند كافور ؟ ...

كل هذا يمكن أن يكون ... ولكننا يمكن أن نفيد من نظريات التحليل النفسي في إضاءة هذه المجاهل من نفس المتنبي . ونتخذ من المظاهر التي أحاطت به أثناء مرضه رموزاً نستطيع أن نفسر بها تلك التجربة . فالارتعاد الذي يصاحب الحمى رمز جنسي . والعرق الذي يتفصد من جسم المريض بعد النوبة ، رمز جنسي . فلا عجب أن تفجر هذه الرموز في نفس المتنبي هذه الصورة الجنسية التي في هذا البيت البديع .

على أن التقارب كبير بين شهوات الطموح والمجد وشهوات الجنس وقد يتحول المرض عند بعض النفوس إلى شهوة ، بل إن الموت عند بعض الشعراء الرمزيين شهوة . واختلاط هذه الشهوات المتناقضة في داخل النفس الشاعرة ، أمر مألوف لدى كثير من الشعراء الوجوديين والسيرياليين .

ويجب ألا تصرفنا هذه التحليلات النفسية والفكرية عن تأمل القدرة الجمالية التي مكنت المتنبي من صياغة البيت على هذا النحو المعبر النافذ الجميل :

إذا مـــا فـــارقتنـــي غسلتنـي كـــأنـــا عـاكفـان على حـرام

وتأمل المقابلة بين فارقتني وغسلتني ... الفراق يشيع معاني كثيرة ويوحي بجو النهاية . وقد تتداعى المعاني فيتذكر الشاعر الموت . وغسلتني تشع أكثر من معنى ، فالغسل القريب هو المعنى المألوف لنا . ولكنه يحتمل غسل الميت ...

وتأمل هذه الصورة البديعة الدقيقة « عاكفان على حرام » .. ما أدق هذا التعبير